سر الباب الخلفي

نافذة احمد عبد الله الحنبلي

سر الباب الخلفي

دقات سريعة وهادئة أقرب الى نقرات عصفور على جذع شجرة ، الليل حالك وهادئ والقمر غائب..

إمرأة مكوّمة على فرشة رقيقة وغطاء خفيف يستر جسدها النحيل الذي كان يتكوّم ككرة قشّ قمحية ..تهادت الى سمعها النقرات ظنّت بانها قطة او فأر ..سمعت همساً .. افتحي الباب يا أمي انا حارث .. استلقت ثانية على فرشتها وظنّت بانها تحلُم حلما جميلا ..ابتسمت وقالت لنفسها ما اجمل هذا الحلم .. تواصلت الدقات ... استعاذت بالله من الشيطان الرجيم وسمّت بالله الرحمن الرحيم .. وبدأت تنهض بتثاقل وقلق فالغرفة صغيرة ومظلمة ... لولا تلك النافذة الصغيرة في الزاوية الشرقية المرتفعة في سقف الغرفة غير العالي التي تُدخل قليلا من نور السماء الخافت ..

اقتربت هامسة من خلف الباب الذي يكاد ان يقع من اهتراء خشبه ..سألت بريبة من؟؟

أتاها الصوت خافتاً خائفاً.. أنا حارث يا أمي هربت من السجن ..

بدأت يداها ترتجفان وهي تبحث عن مقبض الباب الخشبي الذي يمسك بقطعة خشب أخرى من الجهة المقابلة ..من كثرة اضطرابها ازداد ارتجافها .. الفرحة كادت أن تسقطها أرضاً ..

فتحت الباب فاذا بجسد ولدها بين احضانها وضع رأسه على صدرها كطفل في أشهره الأولى وقلبه يخفق بشدة ، حضنته بقوة ونام في حجرها وهو يُقبّل يديها ..

يداها تمررها على رأسه وتقرأ عليه بما تحفظ من الآيات الصغيرة الى ان دخل أول نور خافت من النافذة .. فعرفت بأن الفجر قد لاح فقامت وايقظت ولدها وقالت له قم يا بني لنصلي معاً ..

نهض نشيطاً وكأنه نام عشر ساعات ..وذهب عنه كلّ ما كان يكابده من التعب بالأمس وكأن شيئاً لم يكن ..

قام الى (الابريق) وملأه من صفيحة ماء مغطاة بغطاء بلاستيكي وعلبة لبن فارغة وبدأ يصبّ على يديّ أمه بعد عودتها من الخلاء الذي يبعد عن الغرفة اكثر من ثلاثة أمتار ..

جلس بعد الصلاة بجانب أمه ورأسه على كتفها وهو يقبل يديها ثانية وثالثة ورابعة .. وهي ترتجف عليه من الخوف ..

كيف خرجت من السجن يا بني أخاف أن يتبعك جيش الاحتلال ..

أجابها : لا تخافي سنسافر معاً لنخرج الى بلد آخر .. عسى الله أن ييسر لي عملاً طيباً وأكمل دراساتي العليا ...

بدأ يقبل يديها ثانية ودموعه تغسل كفيها ودموعها منهمرة فوق رأسه ..

سألته: كيف سنسافر ونحن في سجن كبير واسمك أكيد موجود على الحدود

لا تخافي : سنحصل على جوازي سفر مستعارين ..

لا يا بني هذا تزوير !!

لا يا أمي هذا واقع .. والله وحده يعلم كم يعاني شباب الأمة من الاهانة والظلم والتهم الباطلة .. كلنا نريد جوازات مرور مزوّرة ..لأن الحقيقية تهيننا داخل الوطن وخارجه.. اليس الله سبحانه وتعالى يعلم من انا ومن انت فنحن مكتوبان عنده باللوح المحفوظ ؟ ومنذ متى كانت أرض الله الواسعة مُلكاً لأحد أو حِكراً على أحد .. ففي البلاد غير الاسلامية والتي ينطق كل بلد بلغة توحدوا على بطاقة صغيرة تقطع فيها القارة الأوربية من أولها الى آخرها .. وهكذا كان ديننا .. وحتى في عصورنا الذهبية لم نُفرق بين مسلم وغير مسلم في السكن وطلب العلم .. أرجوك يا أمي لا أستطيع العيش بدونك ولو لحظة واحدة فانت الصديقة والحبيبة والأخت ...

غلبتها العاطفة ووافقت على مضض وقلبها يخفق خوفاً عليه من وصول الجيش .. اسرع يا بني وابتعد .. قبل ان يصلوا

ولكنها استدركت : والأرض يا بني لمن نتركها ؟؟

حارث : لا تخافي يا أمي سنتركها بأيدٍ أمينة ..

اجابت: وهل يوجد أمانة في هذا الزمن ؟؟

حارث : الدنيا بخير يا أمي ولن تخلو من الطيب كالثمر فهناك المرّ وما أكثره ولكننا لا نأكل إلا الطيب منه .. وإذا بقينا نخاف فلن نأمن أنفسنا .. أماه ربما بعد لحظات سيأتي من يسأل عني .. وانت تعرفين الاجابة.. وسأعود اليك من الباب الخلفي الذي لا يعرفه احد .. هذا الباب الذي لونه كلون الحائط والذي غُطي بالنباتات المتسلقة من الخارج وعليه صورة طبيعية قصت من مجلة قديمة زينت بها الأم الباب وحتى الأم نسيته منذ رحل عنها جميع الأحباب... خرج مسرعاً وهو يلوح لها بيده : أدعُ لي يا أمي ..ساعود إن شاء الله بعد يومين ..

صحبته مودعةً الى خارج الأرض التي بلا سور ولا سياج وهي توصيه بمخافة الله والمحافظة على الصلاة وأداء الأمانة.. عيناها تلاحق قدميه المسرعتين وقلبها يلهج بالدعاء لله تعالى بأن يحفظه لها .. ويبعد عنه كل شر .. الى أن غاب عن ناظريها

أدارت ظهرها الى الأرض فمنذ مدة لم تتأملها .. نظرت الى الشمس التي تبتسم لها وتُرسل قبلاتها على جبينها .. أحست بالدفئ والسعادة .. وتذكرت لا بل الذاكرة لا زالت تمرّر عليها كل لحظة يوم اعتقل حارث منذ سنتين.. وهو خارج من مدرسةِ أقربُ قرية عن أرضه التي تبعد خمسة كيلو مترات والتي تأتيها الحافلة كل يوم مرة واحدة وأحياناً لا تأتي بسبب عطل ما لقدمها أو لذهابها الى قرية أخرى .. وغالب الأحيان يذهب اليها ويأتيها مشياً على الأقدام ..

أحسّت بقوة في جسدها .. وقفت على قدميها بقوة .. رغم مرضها الذي قدّمها بالسن أكثر من عشرين عاماً .. فخطواتها ثقيلة ودقات قلبها ضعيفة .. عادت الى عشرين سنة خالية يوم استشهد زوجها على هذه الأرض وكان حارث لا يتجاوز السادسة عاما من عمره .. عندما بدأ أول أيام دراسته وكانت توصله الى المدرسة الابتدائية القريبة التي تبعد كيلو ونصف عن الأرض وأكثر الأوقات يعود مسرعاً الى أمه .. غير منتظر عودتها لأخذه .. فهو لا يخاف السباع ولا الكلاب .. فطفولته في أرض بلا سياج كل شيء ممكن الدخول اليها .. فيد والده الحانية التي كانت تحرث الأرض مع جده وجدته وامه .. لا زالت تلك اليد تمسك يده بقوة ...

نظرت حولها.. فمنذ فترة لم تتأمل الأرض لوهن جسدها وعدم استطاعتها حرثها ولكن النباتات والحشائش وبعض النباتات التي تؤكل قد اطلت باوراقها الخضراء تعانق سنابل شعاع الشمس الذهبية..

نظرت الى بيتها الصغير .. عفواً كوخها المتواضع وتهدت تنهيدة كبيرة وانزلقت دمعة حارة على وجنتها خرجت من نار قلبها على صفح وجهها الذي لوحته الشمس .. بدأت ترى والديها واخوتها واخواتها وكانهم يحيطون بها حيث كانوا دائما معها بعد رحيل زوجها .. ولكن تزوج منهم من تزوج ومات من مات وسافر من سافر ..

انحنت الى بعض النباتات تلتقطها لتطبخ منها فهي منذ فترة لم تأكل زاداً مطبوخاً فهي تكفيها بعض لقيمات من الخبز والزيت والزعتر او الزيتون .. حتى الأرض التي تخرج البندورة والخضار والفواكه الأخرى قد ذبلت وماتت باستثناء أشجار الزيتون الشامخة التي تنتعش كلما أتى الشتاء وروى عطشها فتزداد زهواً واخضراراً ..

تنهدت من أعماق قلبها مردّدة : سبحان الله العظيم الذي أسرّ ناظرينا وأفئدتنا بما خلق لنا من طيب الثمرات والرزق وجمال المنظر ..

لحظات قليلة من انتهائها من اعداد الوجبة البسيطة المطهوة بزيت الزيتون والبصل والخضار ..

واذا بمدرعة جيش الاحتلال تدخل المزرعة بلا وازع ولا احساس حتى النباتات الخضراء الندية دعستها وقضت عليها .. نزل الجنود كالذئاب المفترسة يعيثون فساداً ..انتفضت بقوة وهي تحمل ما صنعته من طعام في صحن صغير وأحست بقوة تدبّ في جسدها .. أحاط الجنود بها والأسلحة مصوبة نحوها ..

اين ابنك الذي فر من السجن ؟؟

أجابت : لا أعرف لم أره منذ سُجن ..

دخلوا البيت قلبوه راساً على عقب .. مع أنه لا يوجد فيه شئٌ يقلب الا فرشتها وبعض الأدوات المنزلية البسيطة التي تستعملها ..

دفعها أحد الجنود بعقب بندقيته فوقعت وارتطم رأسها بحجر على الأرض وتركوها تنزف وفروا ..

المكان بعيد ولا أحد يصل اليه الا بصعوبة .. والكل مشغول بعمله وحياته الخاصة ...

عاد حارث في ظلمة الليل ولكن آماله وأحلامه تنير هذه الظلمة بل لم يشعر بها فالنور نابع من قلبه ..يا حبيبتي يا أمي

سآخذك الى تلك البلاد .. سأعلمك ..فلا زلت صغيرة وأذكر ولا زلت بأنك ذكية جداً تستوعبين الشئ من أول نظرة .. سأشغل وقتك بأي شئ فلربما تكملين الدراسات العليا فالعلم لا ينتهي ..وأنا واثق من عطاء ربي الذي لا ينتهي ..فلربما يا أمي ستتعلمين علماً ينفع البشرية .. كم أحبك يا أمي ..سأفخر بك أمام العالم أجمع .. وأمام البشرية جمعاء.. ما أن اقترب حتى تسارعت دقات قلبه فرحاً وسعادة .. فكل شئ على ما يرام ..

طرق الباب الخلفي المخفي الذي لا يكاد يبين لأحد بعدما ان أعدته أمه للفتح السهل لتوقعها بعودته بعد يومين .. نقر بطرفٍ أنامله .. لا أحد يجيب .. همس هاتفاً أمي .. أمي .. لا مجيب

عاد للباب الرئيسي فوجده مفتوحاً على مصراعيه .. كان القمر بدأ من الاقتراب من أقل من نصف البدر ومضيئا ضوءاً لا بأس به .. النافذة الصغيرة أدخلت من نوره القليل مع فتحة الباب اتضح له انه عيث في البيت فساداً .. خرج مفزوعاً على أمه وقلبه يدقّ كمضخة بترول في أعماق الأرض .. تعثر بشيء ما فوقع عليه .. أخذ يتحسّس فإذا به بجسد أمه بلا حراك ولا روح ناداه هامساً متحسساً وجهها وكتفيها أمي أمي .. ألقى رأسه على صدرها وصرخ صرخة في أعماقه لو خرجت من قلبه لاهتزّ الكون لها .. ما أن بزغ الفجر بخيوطه البيضاء الرقيقة واذا بجثة امه هامدة والدم متجمد عند جمجمتها وعند عنقها ..

أقسم بالله العلي العظيم : يا امي لانتقم لك ولكل أم اضُطهِدت و ظُلمت .. لم يتماسك انهمار دموعه .. التي انهمرت كشتاء انتظرته الأرض سنين طويلة فروى بها جفاف سنين القهر والجور والإرهاب ...

دفنها في أرضها عَلِم انها ماتت شهيدة بقرب الباب الخلفي الذي لا أحد يعرفه ..

سافر الى بلاد الغربة ولجأ لجوءاً انسانياً بجوازه غير الحقيقي الذي أسمى به نفسه أميناً ..

هناك في الغربة والبلاد المتقدمه صرفوا له راتباً شهرياً وأعطوه بيتا وتامينا صحيا .. بدأ يُكمل دراسته في إدارة الأعمال .. وكان يعمل ليلا عامل نظافة ونهاراً يُتابع دراسته في الجامعة التي تميّز فيها ..

قضى أيامه وحيداً غريبا.. جسده يرتجف بردا ..وكثيرا لا يكفيه راتب المعونة للحياة.. فالحياة هناك غالية وصعبة ولكنه تحمّل كل الظروف من أجل تحقيق هدفه .. ومع هذا لا زالت وصايا أمه ترنّ في أذنيه .. الصلاة .. الأمانة .. حسن الخلق .. وهو لا زال متسك بها و يحافظ عليها كما يحافظ علة حياته..

في أحد الأيام أصابه التهاب رئوي حاد ..مما استدعى الى مكوثه في المشفى لعدة ايام .. كانت المسؤولة عن غرفته لرعايته ممرضة تتميز بمنتهى الانسانية والخلق الى جانب ما حباها الله من جمال .. كانت تسهر عليه كالأم الحنون وتقوم بواجبها على خير قيام .. كانا يتبادلان الحديث كثيرا .. تكلمه عن نفسها وحياتها .. وهو يكلمها عن عمله ودراسته .. لأول مرة في الغربة يشعر بمن يحنو عليه ..

تعافى وخرج من المشفى بعد أن أخذ رقم هاتف الممرضة وهي كذلك .. كانت تطمئن على دراسته وصحته .. وبعد ايام زارته في بيته المتواضع ..

سألته هل تعرف الحب ؟

قال : شئ جميل يدقُّ له القلب وتستريح له العين وتطمئن اليه النفس

قالت : هذا ما أشعر به .. لماذا لا نعيش معا كصديقين وحبيبين

قال: معاذ الله .. أولا ساعرفك بمبادئ ديني وتقولين رايك .. طلب منها ان يخرجا خارج البيت للجلوس في اي مقهى فالجو كان صيفي جميل كربيع بلاده .. بعدما تحدثا كثيراً أوصلها الى باب بيتها وودعها وقال : ان شاء الله سنبقى على اتصال ..

لم تنم في تلك الليلة : فتحت جهاز (الشبكة العنكبوتية) و (الآي باد) وأخذت تبحث عن كل ما يخصّ الاسلام ..

في الصباح الباكر اتصلت به وقالت يا أمين ان الاجابات كثيرة ومتفرعة وهناك اختلافات كثيرة في الآراء ..

أجابها افتحي على القرآن المترجم مع الشرح وأعطاها إسم فيه الشرح الصحيح الوافي ..

انقطعت مكالماتها الخلوية عنه لمدة اسبوع .. خاف عليها ظنّا منه بانها مريضة او حصل لها شيء ما.. اتصل .. فاذا بها ترد بسرعة بادئة بالاعتذار قائلة ..اخذني دينكم والله ما كنت احب ان اكلمك الا وأفهم الموضوع عامة فهو عميق ويحتاج الى تفكير مستنير وعقل متفتح ..

قال لها : اتصلت بك لأطمئن عليك ..خفت أن يكون قد حصل لك شيئا ما .. الحمد لله انك بخير وأقفل الهاتف مودعاً

ما ان اقفلت هاتفها الا وجهشت بالبكاء الشديد .. محدثة نفسها بصوت

مسموع لاول مرة يحدثني رجل بدون هدف في نفسه او لقضاء شهوة عابرة ... دخلت الحمام واستفرغت كل ما في معدتها ..

استحمّت حماما طويلا لتزيل درنات كل جاهلية عصرها الذي جعلها جارية لكل ايدي الرجال تحت ستار الحرية ..

شعرت براحة لم تشعر مثلها طيل حياتها ..شعرت بانها انثى حقيقية .. طاهرة .. نظيفة .. ليست كريشة في مهب الريح ..حتى فراشها وضعت له اغطية نظيفة واختارت ملابس نوم ساترة ناصعة كبياض الثلج .. ما أن وضعت رأسها على وسادتها الا وهي تغطُّ في نوم عميق والابتسامة لا تفارق شفتيها ..

استفاقت في ساعة متأخرة من النهار وكأنها لم تنم منذ عصور .. وكان عملها في تلك الفترة ليلا وليس نهاراً حسب الجدول الذي يُعد لها..

خرجت الى البحر تتأمله بعمق فهي لأول مرة تتأمله .. كانت دائما تسبح فيه للهو والعري .. نظرت اليه بحياء وندم .. نعم أحب ان اسبح فيك ولكن ليس عارية وانما محتشمة احتراما لجمالك وعظمة خالقك ..

نظرت الى الورود حولها فرأتها جميلة رائعة كانت دائما تشتريها للمنظر او لإهدائها في المناسبات دون الاحساس برقتها وزكاء عبيرها وتنوع الوانها ..

نظرت الى السماء .. الشمس ترسل لها سلاماً هادئاً تطبع قبلات شعاعها على جبينها لاول مرة تشعر بدفئها الحقيقي فهي دائما كانت تتبطح على بطنها عارية من اجل اكتساب اللون (النحاسي) .. غضّت بصرها استحياء منها .. ما أروع دفئك وما أجمل بسمتك الذهبية ..

جلست في مقهى يُطلّ على البحر لتحتسي الشاي مع اللبن وقطعة من الكعك فهي قليلا ما كانت تتناول الفطور .. لعدم وجود وقت معها .. فعندما يكون عملها ليلا تذهب للهو هي وصويحباتها واصدقائهن الى الحدائق هنا وهناك

واذا كان دوامها نهارا تذهب الى المراقص والملاهي وتعود بلا وعي ولا احساس كحشرة رشّ عليها مبيد حشري ..

نزلت دموعها بلطف وهدوء على وجنتيها .. يا رب سامحني

تذكرت أمين فاتصلت به فوراً .. كيف حالك اود ان أراك

إن شاء بعد ان تنتهي محاضرتي ساراك في المقهى لتناول غداءنا معاً

التقيا عصراً .. فعندما رآها احسّ بتغيّر كبير في طريقة جلستها ولبسها

فهمته بسرعة : لا تتعجب بل أشكرك جزيل الشكر على ما وجهتني اليه من خير

أجابها : أتمنى أن تكون كل امرأة في العالم مثل أمي ..

حدثني عن أمك ..

هي الوطن والأرض والطهر والصدق والوفاء والجمال

ما أعظم هذه المرأة ..

كانت تكلمه بين الفينة والأخرى وهو كذلك ليطمئن عليها ..

تريد أن تثبت لنفسها بأن الذي وصلت اليه هو باعتقادها الكامل دون اي ميول نفسية أوعاطفية ..

هو مشغول بدراسته وعمله .. يريد أن يحقق أملاً كبيراً في حياته يفيد الفقراء والمحتاجين والمرضى دون حدود ولا حواجز ..

أثناء دراسته كانت الجامعة ترسله ليتدرّب في شركات عالمية لأن هذا يُعدُّ من الخطة الدراسية فالتدريب العملي أساسي بل هو الدراسة نفسها..

تعرّف على مدراء الشركات وموظفيهم أحبوا أخلاقه وذكاءه .. عرضوا عليه العمل معهم ساعات اضافية بعد دوامه من الجامعة ..

ترك عمله في النظافة مع انها كانت تُدرّ عليه راتباً جيداً فهناك الانسان مُكرم ومُحترم دون النظر الى عمله او جنسيته او لونه ..

يا رب يا حبيبي .. هذا ما كنا عليه في عصورنا الجميلة يوم كنا نطبّق الكتاب والسنة .. يوم كنا عظماء بأخلاقنا ومبادئنا ..

بدأ يشعر بأنه يصعد على أول درجات السلم وهو يدعو الله بأن يوفقه في كل صغيرة وكبيرة ...

بدأ يعرفه رجال الأعمال في كل مكان عرباً وأجانب ويعلو ذكره ..

انهى دراسته بامتياز مع مرتبة الشرف .. أول من هنّأه .. (ماري) الممرضة التي لم ينسها أبداً والتي فاجأته بأجمل هدية كان يتمناها عندما قابلها في المقهى وهي تلبس لباس الاسلام ووجهها يشعُّ نوراً .... كاد ان يعانقها لولا الحدود التي تمنعه من ذلك سألها منذ متى ..؟

منذ شهر فقط ..

طلب منها الزواج

لم تصدق أذنيها ..انفجرت دموعها كينابيع من جوف الأرض ..

قالت له : هناك أحلام كثيرة أريد أن أحققها

وكذلك انا : سنحققها معاً ان شاء الله

كانت حفلة عرسها اكثر مفاجأة له

فأغلب صديقاتها وعدد من أصدقائها كانوا قد اهتدوا الى سواء السبيل وكان مكان العرس في أقرب مسجد وحيد يبعد عن البلدة التي هم فيها عشرون كيلو متراً بالقطار ..

كان العرس بسيطاً قُدم فيه التمر والحلوى والعصائر ..

الكل كان سعيداً بالعرس وربما كانت السعادة أكثر لما وصلوا اليه من خير ..

هنأوا العريس بحرارة شديدة وقالوا له كم عانينا حتى وصلنا لما نحن فيه ..صحيح أننا لا زلنا في بداية الطريق وندعو الله بأن يثبتنا على هذا ..

كان طريقنا صعباً جداً مع أنه قصير ولكن الشبكة العنكبوتية قربت لنا كل بعيد ولا ننسى فضل أختنا (ماريا) التي غيرت اسمها تيمناً باسم (امّنا ماريا القبطية) زوجة رسولنا الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام .. فكم تهكّمنا عليكما ووصفناكما بالارهابيّين ..

كان من اصدقائها عفواً بل الآن اخوتها وأخواتها في الله من يدرس الطب ويعمل به وكذلك في مجال الاقتصاد .. والصحافة والإعلام .. فأصبحت عائلة أمين كبيرة في الحب في الله .. ما أجمل هذه العائلة وما أطيبها ..

أصبح يلتقي أمين كل جمعة مع أخوته المسلمين من كل أنحاء العالم سواء الأجانب الذين اعتنقوا الاسلام أو المسلمين العرب وغير العرب وكذلك ماريا مع أخواتها المسلمات للصلاة ..فقط لصلاة يوم الجمعة لأن يوم الجمعة ليس بيوم اجازة.. في تلك البلاد

ولكن كانوا يجتمعون يوم الأحد في حديقة عامة مع أطفالهم وأزواجهم ويقضون يوماً ممتعاً فيه تبادل الأفكار ومناقشة ما يستجد على الساحة العالمية من أخبار .. وكلهم يحذوهم الأمل في تكوين جمعية انسانية كبيرة لتكون عوناً لكل انسان في كلّ مكان..

كان المارّة ينظرون اليهم ويراقبون تصرفاتهم ويرون فيها نُبل الخلُق وحسن التصرف .. من النظافة والهدوء والمحبة الغريبة التي تجمع قلوبهم فمنهم من يقترب منهم ليسألهم ويفهم منهم .. ومنهم من يمر مرّ الكرام .. والغالبية تستهزئ بهم خاصة عنصر الشباب والشابات الذين آخذتهم الدنيا لشهواتهم وملذاتهم .. وكم من شاب صرخ عليهم وهو ثمل يتأرجح مع صديقته الثملة وسبّ عليهم ولعنهم ..

فكانوا لا يأخذون له بالاً ..ولكن قلب ماريا كان ينفطر عليهم حزَناً وتدمع عيناها بحرقة وألم وتدعو الله لهم بالهداية ..

في يوم مظلم داكن استيقظ أمين وقلبه مقبوض لا يعرف لماذا وأول ما نظر اليه هو وجه زوجته ماريا التي تغطّ في نوم عميق هادئ .. تحرك من على السرير ..احست به فاستيقظت بسرعة سائلة اياه هل حان موعد صلاة الفجر...؟

لا .. لا يريد أن يُقلقها أريد ان أشاهد التلفاز..فلربما عمل اليوم كان مضنياً سبّب لي الأرق فأنت تعرفين كلما تعب الانسان يقلُّ نومُه والكسول يزيد نومه ابتسمت وقالت له صدقت.. وساصلي ركعتين لله تعالى عسى أن احس بالهدوء ..

لكن حبها له لا يسمح لها بأن تتركه لحظة واحدة .. فروحها متعلقة به الى أبعد الحدود مع انها بدأت تشعر بألم خفيف في معدتها وفقدان شهيتها للطعام ..

ذهبت الى المطبخ لتصنع له كوباً من الشاي ..

عادت اليه فإذا به يصرخ في التلفاز لماذا .. لماذا..

نظرت الى التلفاز فوقع منها الشاي على الأرض وأحست بدوار شديد لولا ان شدّها امين اليه قبل ان تقع ارضا

اتصل هاتفيا باقرب مشفى ولحظات واذا هي هناك .. لم تتحمل سيارة الاسعاف لحظات لوصولها..

فحصتها الطبيبة جيدا ..وقالت له انها حامل بالشهر الثالث ..

كادت الفرحة أن تطير به .. لولا تذكره ما شاهده على التلفاز لكانت فرحته اكبر ..

جنين بلدي .. وطني.. قريتي .. ارضي .. بابي الخلفي .. ماذا حدث لها .. قتلى ..جرحى .. اجرام .. ارهاب .. كاد ان يفقد عقله فانطلقت منه ضحكة مدوية ظنّ الناس بأنه مسرور للخبر الذي سمعه ..

استفاقت زوجته من غيبوبتها.. واول ما سالت عنه : ما هذا الذي شاهدته على التلفاز ..

التزم الصمت واضعاً يده الحانية فوق حجابها الذي يغطي شعرها..حبيبتي .. انه العدو هو الذي يتهمنا بالإرهابيين واللاساميين وهو الذي يفعل كل هذا بنا ..

أمسكت يده بحنان وضمتها الى صدرها ..هذا هو الذي أفقدني التوازن ..المنظر البشع .. وليس الحمل ..

سأقف مع المظلومين الى آخر يوم في حياتي مهما كان هذا المظلوم ..

دخل طبيب آخر ونظر اليها قائلا :

رجاءً لا تُعرضي نفسك لتوترات عصبية ونفسية من اجل صحة الجنين .. وانت بحاجة الى اسبوع لرعايتنا ولتبقين تحت المراقبة ..

بعد ان خرج : قالت لزوجها ان كانت بنت ساسميها جنين وان كان ولد ساسميه وطن..

في صباح اليوم التالي زُرنها كل الاخوات وقد سُررن بالخبر السعيد .. وكل واحدة تريد ان تقدم لها مساعدة ما .. وقد احطن الغرفة بالورود التي قطفنها من حدائقهن ..

تداولن الحديث فالكل يتلكم عن نفس الموضوع ..

قالت الصحفية ..سأسافر غداً الى فلسطين لاغطي الحدث ..

والطبيبة قالت : سانزل مع لجنة أطباء بلا حدود ..

والأخريات : قلن سنبدأ من هنا لعمل لجنة انسانية عالمية لجمع التبرعات العينية والنقدية لتقديم ما يمكن تقديمه .. ومنذ اليوم سنطرح هذه البذرة في أرض العطاء لتكون شجرة تغطي اغصانها واوراقها وثمارها كل بلاد العالم ..

واللواتي تخصّصهن بالحاسوب وعلومه بجميع فروعه بدأن ينشرن فكرتهن بجميع اللغات .. ووجدن تأييداً لا حصر له .. فالانسانية لا تعرف حدوداً ولا أجناساً .. ولا ألواناً .. ولا اديااناً ..

وكثيراً ما كان يدخل على مواقعن (قراصنة المواقع) الذي يُطلق عليهم (بالهكر) .. ولكن هذا زادهم تصميما وايمانا بفكرتهن ..

وقد فتح الله على أمين من اوسع ابوابه .. من الرزق الحلال فبدأ في تمويل المشروع واشترك معه الآلاف من أصحاب الاموال المقتنعين بفكرته .. رغم تشديد المراقبة الدولية على البنوك من وممّن تاتي والى اين تذهب ؟؟ لن يُثني هذا كله عزيمة المعطائين بل زادهم اصراراً ..

وبدأت دول العالم القوية ترفع قضايا ارهابية على هؤلاء ولكن محامو الدفاع كانوا اقدر منهم في الرد وكسب القضايا لصالحهم .. تعبوا كثيراً وعانوا كثيراً .. كانت ستغلق لهم شركات ومصانع .. واعمال حرة يعيش منها آلاف الأسر ..

هذا هو الظلم بعينه يريدون الإكثار من المراقص والمخمورين والمخدرين والعابثين ويريدون تحطيم الاخلاق والنظافة والطهر والعطاء بنعوتات واهية .. ركيكة .. لا يمكن تصديقها .. لأنّ مراكز القوى في العالم يحكمها الظلمة وهل الظالم يأمر بخير او بعدل ..؟؟

رغم أنفهم وباسم دولهم وَحّدت هذه الجمعية جميع الجمعيات في العالم بإسما موحدا لها في كل ارجاء العالم .. فالشعوب هناك تطالب بحقوقها دون خوف والقانون معهم .. وهكذا كانت البداية

اصبحت هناك لجان للملابس واخرى للطعام واخرى للتعليم واخرى للصحة .. فكل من وجد في نفسه الرغبة في الانضمام اليها انضم بدون مقابل .. فالجمعية توفر له الطعام والشراب والمسكن .. وكثيرا ما كان ينضم الازواج لها ..

هكذا دبّت الجمعية الروح في أجساد كانت ميتة لا تُفكر الا بالانفاق الجنوني غير المنظم او الانفاق في سهرات خليعة ..

كان (القرش) لا يساوي عندهم شيئاً .. والآن أصبح القرش مع القرش يساوي الكثير الكثير ..

جوازات سفرهم الدولية تسمح لهم بدخول فلسطين وكل دول العالم .. دخلوا برا وجوا ولكن هذا لا يمنع الكيان الصهيوني من ايقافهم والتحقيق معهم فهم لا يحترمون قوانين دولية ولا اعراف انسانية .. لانهم يصورون للعالم بانهم هم المظلومون والمقهورون ..

كانت تحدث مشادات كلامية واحيانا تمتد الى عراك بالايدي ..

جنين حُطّمت ودُمّرت ... شُوه ابناؤها ودُمرت بيوتها .. هذه النكسات التي تتوالى على الشعب الفلسطيني لا تنقطع .. من مذبحة دير ياسين و حتى تل الزعتر وحتى صبرا وشاتيلا والى .... ما لا نهاية

مرت تسعة أشهر وأمين حزين على ما يجري في بلده ليس في بلده فقط بل في بلاد العالم اجمع ..

تبرع احد المسنين الذي أعلن اسلامه منذ زمن بعيد ببيته المتواضع في وسط العاصمة ليكون مركزا اوليا لهذه الجمعية ..

وحذا كثيرٌ حذوه في منح بيوتهم ومزارعهم وحدائقهم لعمل الخير ومنهم من باعها بأثمان باهظة ليستثمروها في بلاد النكبات والفقر .. هكذا هم يريدون من يوجههم للخير .. فالحياة المادية ارهقت انفسهم .. وحتى كبار السن فيهم طاقة للعطاء لأن وحدتهم قاتلة ومميتة .. أحسوا بدفئ هذا البذل ..

بدأت الجمعية تكبر وتكبر.. والمساعدات تصل الى أدنى وأقصى الأرض دون استثناء.. بعد ان حصلت على موافقة من الدول الكبرى على اسمها وعملها الانساني و بعد جهد جهيد .. وسعي دؤوب للحصول على هذه الموافقة ..

فما اسهل الحصول على تصاريح اماكن الخسّة والنذالة ولربما لا تحتاج تصاريح لأنه يُطلق عليها بالحرية الشخصية .. يا للغرابة في هذا العالم .. كم من مُمثل سينمائي مشهو وكذلك ممثلة او مغنية او مغنٍّ او شخصية وصلت للشهرة بغير الحق ..كانت نهايتهم تعيسة وميتة سيئة اما بالمواد المخدرة او الانتحار او حوادث السير المرعبة أو القتل .. وكم منهم كانو مهربين للمخدات ومن تجارها ..ليس لأنهم فنانين بل لأنهم بلا مبدأ .. لا يعني الفن الفسوق واللهو والعري لا بل الفن التزام ونشر للفضيلة من اهل الفضيلة .. فما نفع المال ولا الشهرة ولا الحرية التي تنطلق دون حدود ولا وازع ولا رادع حتى يتساوى الانسان مع الحيوان بل لربما يكون للحيوان عليه درجة وربما درجات ..!! ما اتعس الانسان اذا بعد عن انسانيته ونسي اخلاقه ومبادئه ..!!

اصبح في كل دولة مقراً لها وكانها رمزاً للخير والبذل وكانت رايتها دائرة كبيرة مقطعة مثلثات وفي كل مثلث صورة لأهم اشجار دول العالم ..فكم كان منظرها جميلاً وساحراً .." فسبحان الذي خلق لنا مما تُنبت الارض" ..

وفي كل دولة تبدأ بمبنىً صغير ثم يكبُر حتى يغدو بُرجاً .. ويتفرع منه مؤسسات صغيرة في كل المدن والقرى حتى تعمّ البلد كله ..

اصبح التواصل الاجتماعي عبر الشبكة العنكبوتية وغيرها .. من التواصل الشخصي ..مما سارع في ايجاد فرص عمل كل حسب رغبته فمن الشباب الأغنياء عملوا تطوعاً وكانوا يوصلون الطعام والملابس في سياراتهم الفارهة التي كانوا يستعملونها سابقا (للتفحيط) في الشوارع وإخافة الناس وكثيراً ما يتسببون بقتل انفسهم وقتل المارة او اصابتهم بعاهات دائمة تقعدهم عن الحركة ومنهم من باع هذه السيارات الثمينة وأبدلها بحافلات تجارية صغيرة لتتسع للمعونات ..واكثر الشباب يعملون براتب مع توفير المسكن لهم والطعام وكذلك تيسير الزواج لهم ..

اصبحت صرحاً من الخيال .. تكاد تغلب شركة (غوغل) في تنظيمها وعلمها وتطورها ..

الصحفية (جني) دُعست تحت عجلات الدبابات في جنين .. وكثير من الصحفيين قُتلوا عن طريق القنّاصة او بطرق اخرى عديدة ..

انتهت مجزرة جنين اثنا عشر يوما من شهر نيسان من سنة الفان واثنان .. حرقت فيه الأخضر واليابس .. قُتل فيه الشيوخ والنساء والاطفال .. دُمرت البيوت ..

كلّ ما نهى عنه ديننا الحنيف يفعله العدو وما يُسمى بدول العالم الاول والقوى العظمى .. يا لها من مهزلة ..يدافعون ويساندون الظالم والارهاب .. ويقولون عن المظلومين والمسحوقين بالارهابيين .. عجباً لك يا زمن كل الموازين قلبها البشر ..

انجبت ماريا..بعد ستة شهور من المجزرة ابنتها الأولى وأسمتها (جنين) .. وكانت ولادتها عسيرة تماماً كآلام وجراح جنين ...

بعد ولادتها طلبت من زوجها أن تذهب مع فريق اطباء بلا حدود الى جنين وفلسطين .. ووعدته بانها ستزرع له الارض التي اشتراها من حارث .. وستحافظ على الغرفة الصغيرة وما حولها وستعمل عليها سياجا خاصا لا يتخطاه احد .. وستستاذنه في كل صغيرة وكبيرة .. وقالت له ربما سنقتطع جزءاً منه ليكون فرعا للجمعية ... وأغلب الأرض ساقوم بزراعتها زيتونا وقمحاً .. وساستعين بشباب القرية ونسائها للعمل بمقابل.. ساجعل من قريتك مدينة كبيرة فيها كل الخدمات ..

عرضت فكرتها على صديقاتها وافق الكثير منهن للذهاب معها لمباشرة هذا المشروع هناك ..

سافرن عبر جسر الملك حسين في الأردن.. فالاردن المنفذ الوحيد للشعب الفلسطيني الذي يرى فيه توحده وحبه لهذا البلد الذي سوف لا يفترق ابدا رغم ما حاول البعض من ايجاد وثائق تفرقة ولكن تبقى الوحدة الوطنية من اروع الوحدات واطولها عمرا بين الوحدات العربية ..

دخلن مع اطفالهن ومنهن مع ازواجهن .. أدخلوا جميعاً الى غرف التحقيق المشددة على الجانب الآخر من النهر..لماذا تدخلون الى (اسرائيل) ؟؟ وكم ستمكثون فيها ومن ارسلكم اليها ..

بعد تشديد مضنٍ وتحقيق مرهق ..سمحوا لهم بالدخول مع تحديد المدة التي يجب ان يمكثوا فيها ..

ذهبت ماريا وطفلتها وبعض صديقاتها الى ارض امين ..وصلوا تقريباً في وقت العصر وكانت الشمس قد بدات بالسفر الى غرب السماء ..

الأرض قاحلة جدباء البيت الصغير متهتك آيل للسقوط ..

دخلت هي وصديقاتها وهي تحتضن جنين بقوة ..البيت عشعشت فيه العناكب ومدّت خيوطها في كل مكان ..

بدأن بتنظفيه مبدئياً حتى تشرق الشمس .. لن يستطعن النوم .. بل قضين ليلتهن على بعض البطانيات الخفيفة التي احضرنها معهن ..

في فجر مشرق اخترق فيه صوت الآذان من مسجد ليس ببعيد يبدو انه بُني منذ فترة قريبة .. قامت ماريا تبحث عن ماء فلم تجد ..فاضطرت للوضوء من المياه المعدنية التي كنّ يحملنها ..

انطلقت حملتهن الى جنين المدينة بما تيسر من مواصلات ليست بقديمة نوعا ما ..

الحزن والخراب يعم المدينة وخاصة مخيم جنين .. اشترين ما يلزمهن من مواد تموينية ومواد تنظيف وما يحتجنه لحرث الارض .. وبطاقات اتصال وجهاز حاسوب ليتواصلن مع الجمعية ..

العمل كان شاق ومضنٍ ولكن حبهن للعمل هون عليهن الصعب ..

بدأت الارض تنمو وتزدهر .. وقمن بترميم الغرفة الصغيرة بالواح (القرميد المقوى) وكذلك بانشاء بيت من الطوب من ثلاث غرف وصالة وحمامين .. ومطبخا جميلا يطل بابه على ما زرعوه من الاشجار الصغيرة والورود ..

واحضرن عمالا فحفروا لهن بئرا من الماء لتجتمع فيه مياه الشتاء الصافي ..

مرت ست سنوات وأعضاء الجمعية يزداد عددهم يوما بعد يوم في كل ارجاء العالم واصبح لهم صفة شرعية ..

كان مشروع ارض امين قد اصبح صرحا عاليا .. فيه اقسام للتعليم المجاني .. واقسام لاطعام الطعام .. واقسام للملابس .. كان لا يتخيله احد لما اصبح عليه من التطور والازدهار .. اصبحت له مواصلات حديثة من والى جميع مدن الضفة .. فالجدار العازل قطّع فلسطين إربا والعائلات كذلك .. فهناك من مدرسته خلف الجدار وبيته امامه وكذلك من بقالته او مصدر رزقه خارج او داخل .. ما اصعبها من حياة .. ولكن الشعب يقاوم ويقاوم ولا يستسلم ..

دخل امين الى بلاده بعد ست سنوات .. طبعا اسمه كان يرفرف في اسماء رجال الاعمال ..اعتقلوه على الجسر واحتجزوه لاكثر من اسبوع ولكن حمله لجنسية اجنبية جعلته يخرج سالما لان دولته الحاضنة له دافعت عنه وهدّدت بأن تؤلّب الرأي العام حول قضيته .. وطبعاً الكيان الصهيوني اهم شيء لديه الاعلام ..

اخرجوه ولم يسمحوا له بالمكوث اكثر من اسبوعين ..

استاجر سيارة سياحية وطار مسرعا الى ارضه وزوجه وابنته .. قابلته ماريا وكادت تطير فرحاً .. عانقها وعانق ابنته جنين .. نظر الى الارض وجدها شيئاً آخر .. شكر ماريا وصديقاتها وكل من ساهم في هذا البناء ..

كانت جنين الآن في عامها السادس وكانت المدرسة التي أُسست بجزء من الارض تدرس فيها مع اطفال القرية وقد وُظف فيها عدد من المعلمين والمعلمات .. والمدرسة تكبر اكثر فاكثر ..

دخل الى غرفة الطفولة .. فرأى اهتمام ماريا بنظافتها وارفاق اشياء كثيرة فيها من حمام ومطبخ صغير ..ووضع سرير ودولاب جميل فيها مع قليل من اللوحات والرسومات الجميلة ..فهي تعرف حبّ زوجها لهذه الغرفة مع انها لا تعلم اسرارها ..القى بجسده على السرير والدموع تنزف من عينيه لا يعرف معناها هل هي دموع حزن ام فرح ..

اقترب من الباب الخلفي الذي أوصى زوجته ألا تحرك به ساكنا الا للتنظيف فهي لم تلحظ انه باب ..فتح الباب من الداخل تماما كما تركته له امه قبل استشهادها .. راى قبرها وقد نمت فوقه الزهور والرياحين البرية ... القى بجسده عليه وعانقه وروت دموعه ازهاره ونباتاته .. يا حبيبتي يا امي حتى الان لم اوفِ بذرة من وعدي ..

دقت ماريا عليه الباب ..نهض مسرعاً وجفّف دموعه واقفل وراءه الباب الخلفي ..

وكانت ماريا تحمل له القهوة وقليلا من الحلويات التي يحبها منذ طفولته والتي اشترتها له من المدينة قبل وصوله ..

اقتربت منه وامسكت بيديه : اانت حزين لانك هنا ؟

لا يا حبيبتي ويا زوجتي الرائعة : تذكرت طفولتي ووفاة امي وكل شئ ..

امسك يدها وخرجا يتجولان في انحاء المزرعة .. والتي اصبح لها سورا يحميها ..

جاءه رجال القرية من كل حدب وصوب يريدون ان يبيعوه اراضيهم المقفرة

لا ..لا تبيعوها وانما ساضمنها مقابل مقدار من المال يرضيكم .. سنجعل من قريتنا صرحا من العلم والصحة والعطاء وستكونون شركاء معي .. وافق الغالبية .. وقلة منهم طلبوا البيع لحاجتهم الى المال ..فوافقهم على مضض

في مساء يوم سنة الفان وثمانية ..كان يشاهد امين الاخبار هو وماريا .. جاء خبر عاجل باندلاع الحرب على غزة ..

انتفض واقفا.. يا الهي يا رب رحمتك وحمايتهم ..اشتد الهجوم .. الجو بارد ..

شهر رمضان بروحانيته اصبح حزينا باكيا .. شريط الذكريات يعيد نفسه يمرّ عليه ..كل ثانية وكل لحظة ..

بدأ اتصالاته بجميع فروع الجمعية لتركز جهودها من اجل ايصال المعونات .. البيوت والمساجد هدمت .. الانفاق التي تدخل منها الاغذية والادوية المهربة من مصر .. فالشعوب العربية كلها تحب بعضها ولا يمكن تفريقها .. وحتى شعوب العالم شدت الرحال لتتابع ما يجري في غزة . استعملت اكثر الاسلحة فتكا .. والعالم المتحضّر ساكن بلا حراك فالكيان الصهيوني في موقع دفاع وغزة العزلاء في موقع ارهاب وهجوم ؟؟!! ..يا لها من مهزلة ضحكت منها الأمم ..

وهذا حق الظلم الذي يُطلق عليه (الفيتو) الذي يُستعمل فقط لإعلاء كلمة الظلم وسحق كلمة الحق .. لا بل لدفنها عن خارطة العالم ..

بدأت الأساطيل تاتي من كل حدب وصوب من الاردن اساطيل المساعدات العينية والطبية ومن الامارات .. وعن طرق البحر من تركيا ومن جميع دول العالم .. طبعا.. عندما تكون دول العالم العظمى مع الباطل فستهاجم جميع قوى الحق ..

انتهت مدة اقامة امين فخرج يجوب في البلاد من اقصاها الى ادناها مع اشهر رجال اعمال العالم الذين يحفظون نعمة الله ولا يلقوا باموالهم الى اماكن اللهو والمتعة المحرمة وشراء ما لا يلزم بل كل حسب حاجته وحتى الطعام كانوا ياكلونه كلّ حسب حاجته ولا يتركون خلفهم لقمة واحدة ..

بعد ثلاثة شهور نودي بهدنة بين حماس والكيان الصهيوني واقاموا حصاراً مشؤوماً على قطاع غزة .. ولكن الشعوب المظلومة دائما تقف على قدميها شامخة .. تريد ان تبني نفسها من جديد ..

ماريا الآن في شهر حملها الثالث .. وكان حملها اكثر تعباً وإرهاقاً من جنين .. أخبرت امين بالحمل الجديد سُرّ كثيرا به .. دائما سروره لحظات وحزنه طويل ..

بعد ستة شهور ولدت انثى واسمتها غزة .. وكانت ولادتها اعسر بكثير من ولادة جنين وكانت كل يوم بيوم تُري امين صورها وصور جنين وتحادثه عبر (السكايب).. صور حية وهذا كان يهون عليه آلامه واحزانه وآلام الامم جمعاء ..

امين يسعى جاهداً لتطوير جمعيته ليصبح لها سرعة التحرك وايصال المؤن الى اهلها ..والمساعدات لكن ..طبعا كل شيء بثمن .. امواله مراقبة وحركاته محسوبة عليه .. حتى لو انه يحمل الجنسية السويدية .. فسهّل اتهامِه بالارهابي واللاسامي ..

توالت الاحداث ..الشعوب العربية مضغوطة (كانبوبة غاز) لحظة وتنفجر .. انظمتها تلجم فاها عن التعبير عن رأيها والخروج الى الشوارع للاحتجاج عما يجري حولها ..

كان اول انفجار في تونس الخضراء بعدما اشعل محمد البوعزيزي النار في نفسه وبعد مماته في بداية شهر يناير من سنة الفان وأحدى عشر .. اجتاحت الثورة التونسية و اطاحت بريئسها الظالم.. وتنحى عن الحكم ..وتتالت الثورات كعقد لؤلؤي صُبغ بالدم ..

اليمن الذي كان سعيدا في ايامه الغابرة أصبح تعيسا في أيامه الحالية ... مصر أم الدنيا التي يدخلها يكون آمنا .. أصبحت الان من يدخلها فهو ارهابي او متعاون مع الاخوان (الذين صنفوا بالارهابين) .. فكان عام الفان واحد عشر عام ربيع عربي .. مع انني لم ار فيه اي ربيع وانما خريف أُسقطت فيه ارواق الانتخابات الصحيحة وحوكموا .. وازدادت المظاهرات والاحتجاجات وازداد القتلى والشهداء .. وازداد الخراب والبطالة ..والفقر .. والجهل والمرض ..

وللأسف في خضمّ هذه الثورات لم تُطلق رصاصة واحدة على الكيان الصهيوني .. بل نحن من نقاتل بعضنا بعضاً ونسفك دماءنا ..

وها هي العراق .. آه عليك يا بلاد النخيل والفرات ودجلة .. ماذا حدث لك ..امريكا اللعينة التي تدّعي العدالة سرقت بترولك وخيراتك وتركوا لك التفجيرات والعنصرية والتفرقة ..ضعضعوا الامن فيك اخرجوا العلماء منك ودمروا البنية التحتية فيك ..

ها هي الثورات تتالت تترا من تونس الى مصر الى ليبيا الى اليمن واخيرا الى سوريا التي لا زالت تشتعل نارا تحرق الاخضر واليابس .. وتقتل الحرث والنسل .. هذه الثورة التي هي اطول عمرا من كل الحروب والثورات ..واكثر الأعداد هجرة لسكانها ..

دائما جهاز الخلوي وشاشة التلفاز والمكتب والبيت في كل مكان يتابع امين فيها الاخبار ..

المهاجرون الصومال والافارقة والسوريون وكثير من العرب الذين يموتون غرقاً بين شواطئ ليبيا وايطاليا بسبب القوارب والسفن غير الصالحة للابحار وياخذ تجار العبيد والرقيق الابيض مبالغ

باهظة لحملهم من اجل هجرتهم ..بل من اجل موتهم ..

العالم كله يأكله الجوع والمرض والفقر والجهل حتى في امريكا نفسها هناك فقر ومرض ..وخاصة امريكا الوسطى والجنوبية

السودان انقسم سودانين .. العالم كله شمال وجنوب ..غرب وشرق .. حتى نفس البلد الواحد العنصرية استشرت بين ابنائه ..في الجامعات .. في المدارس .. في الشوارع .. في البيوت .. يا لها من مهزلة واي مهزلة ..

أمين يسارع في عقد الإجتماعات من أجل انشاء مقرات للجمعية في كل مكان ليوحّد جهود العطاء والبذل .. حتى اصبحت لديهم مخازن في كل مكان .. اصبحت مؤسسة دولية تُقدم لها الطلبات للعمل فيها من كل حدب وصوب ولجميع افراد المجتمع دون استثناء كل حسب مؤهلاته .. اصبحت مواقعه شجرة لا تطرح الا خيراً .. فالارض ارض الله والمال مال الله .. والخلق خلق الله ..

حتى في سيرلانكا والبنغال وافغانستان والهند والحبشة حيث يتمّ تصدير الخادمات بل الرقيق أسموه ابيضاً او أسوداً فكله ظلم وقهر .. ان تبعد احداهن عن اطفالها وزوجها السكير الذي ترسل له المال فينفقه على الخمر والنساء ..

امين يحس بتوهج في وجنتيه وارتخاء في عضلاته ..ذهب للطبيب .. اخبره بأن ضغطه مرتفع وكذلك نسبة السكر في دمه ..سأله منذ متى وانت تعاني من هذه الامراض ..

اجابه لاول مرة

نصحه الطبيب عن الابتعاد عن التوتر النفسي والعصبي وكتب له دواءً على الدوام ..

كيف يا دكتور ..؟ والعالم كله حولنا يحترق ..وينزف .. ويهدم ..

علينا ان نحافظ على الاقل على انفسنا لنحاول اخماد ما يمكن اخماده من الحرائق الملتهبة .. ووقف النزف قبل ان يؤدي الى الموت .. وايقاف البناية قبل هدمها ..

مدّ يده مصافحا وحاضنا لامين .. ان شاء الله سنكون معاً وكل احرار العالم وكل من يخاف الله ويحب الله وحده لا شريك له ..

كان قد أوصى زوجته اذا سمعت بوفاته يوما ما .. ان تنزع اللوحة المعلقة على الحائط الغربي لترى ما خلفه ..

امين لم يستمع لنصائح الاطباء فتوتره يزداد يوما بعد يوم وصراعه مع الاخبار لا تنتهي ..حتى اصرّ ان يذهب الى مخيم اليرموك مع قافلة الصليب الأحمر التي مُنعت ان تدخل لاكثر من مرة ويريد ان يتجول في كل المدن السورية المنكوبة ومخيمات الايواء في كل مكان ..

يريد ان يدخل كل مكان في العالم فيه ظلم وقهر وذبح للانسانية بدم بارد .. وعالم القوى (الدنيا) تتفرج بدم بارد ..

كان آخر رسالة ارسلها لماريا :لا تنسي آلام العالم في كل مكان ربما يكون قلبك اقوى من قلبي .. لا تتوقفي عن العطاء حتى لو قتلوا جنين وغزة ..

اصطادته رصاصة قناص .. فاردته شهيداً .. ومثله الكثير ..

ماريا مثله انتقلت اليها عدوى مشاهدة الاخبار ..والخبر يصل مع حداثة التكنولوجيا كسرعة البرق ..

سمعت ورأت .. كادت ان تفقد وعيها.. جنين اصبحت يافعة على ابواب سن البلوغ وغزة في الرابعة من عمرها الاثنتان تشدّ بها وتبكيان بحرقة ..امي لا تخافي ..كلنا سنموت شهداء ..اليس هذا ما علمنا اياه ابي ..

احست بانهما اقوى منها واكثر صموداً .. فعرفت لماذا هذا الدين يُعلّم الصبر والقوة .. وهذا الشعب الصامد حول الاقصى الذي يُحفر تحته يوما بعد يوم والعالم مشغول على بعضه البعض ..

اسرعت الى الغرفة الصغيرة ودموعها تشتد انهمارا كماء نزل من السماء مدرارا..

نظرت الى الحائط الغربي .. نزعت عنه لوحةً باهتاً لونها كانت تحمل صورة من مجلة قديمة قصتها أمه لتزينه به ولتُخفي مكان حلقة الباب .. بل الباب كله..

ما هذا ..رأت فوهة صغيرة محفورة في الحائط بقرب الباب .. أحضرت معولاً صغيراً وبدأت تفتحه بهدوء .. واذا بمغلّف من النايلون بداخله قطعة قماش يوجد بها أوراق .. بدأت تفتح ورقة ورقة فهي الآن تُتقن العربية بطلاقة ..

الأولى : شهادة ميلاد باسم حارث بن عبد الله بن سعيد

الثانية : شهادات مدرسية من الفصل الاول حتى شهادة الثانوية بنفس الاسم .

الثالثة : جواز سفر لا زال جديدا باسم سعيدة بنت عبد الفتاح بنت علي

الرابعة : شهادة ملكية ارض باسم عبد الله بن سعيد ..

وجدت حلقة الباب وحاولت فتحها

فكانت مُحكمة الإغلاق حيث أغلقها جيدا امين (عفواً حارث) في المرة الوحيدة والأخيرة التي زار فيها أرض آبائه وأجداده ..

واستعملت المعول الصغير ثانية في فتحه .. فرأت ورداً ونباتات تُغطي تُرابا مبنيّ عليه إسمنت .. وكُتب عليه هنا دُفنت أمي الشهيدة ..

رمت بجسدها على القبر وأطلقت لنفسها العنان في بكاء حار يحرق القلب ..

سمعت ابنتاها تنادينها .. أسرعت وأقفلت الباب .. ووضعت صُرة الأوراق مكانها ..والصقت الصورة ثانية وكأن شيئا لم يكن ..

ولكن هذه المرة أقسمت لتنتقم لكل شهيد ومظلوم في كل مكان وما أكثرهم ..